دور و مكانة الإله خالدي في حضارة ومملكة أورارتو

The role and place of the immortal god in the Urartu civilization and Kingdom

م.م.خيرية عبد حمد

إعدادية زرقاء اليمامة

وزارة التربية

المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة 2

قسم الإعداد والتدريب

شعبة البحوث والدراسات التربوية

دور و مكانة الإله خالدي في حضارة ومملكة أورارتو

م.م. خيرية عبد حمد

ملخص

الأورارتيين هم السكان القدماء والأصليين لإقليم كوردستان العراق ومناطق زغروس ، حيث كانت مملكة أورارتو في أقصى اتساعها تضم مناطق من سوريا غربا حتى البحر الأسود في الشمال،وتمتد إلى إيران وأرمينيا في الشرق ، حيث استطع ملوك أورارتو أن يجعلوا منها مملكة ذات شأن في تلك الحقبة أدت دوراً مؤثرا في حضارات الشرق الأدنى القديم كان لها ثقافتها الخاصة و عقائدها الدينية التي تتشابه إلى حد كبير مع العقائد الدينية التي سادت مختلف مناطق الشرق الأدنى القديم في بلاد الرافدين وسوريا القديمة :

فقد وجد في كل من تلك الحضارات مجمع ديني ضم العديد من الآلهة التي كانت تعبد والتي كانت في الغالب تمثل قوى الطبيعة المؤثرة تأثيرا مباشرا في حياة الإنسان كإله المطر والرعد وإله الشمس والقمر وغيرها، مثل هذا المجمع الديني وجد في مملكة أورارتو وعبدت فيه آلهة متعددة وكان الإله الأعلى يختلف من فترة إلى أخرى، فعندما بدأت تزداد أهمية القوة العسكرية للدولة نجد أن إله الحرب يصعد إلى المرتبة الأعلى في قائمة الآلهة حتى يقف إلى جانب الملك في حروبه ويمنحه النصر على أعدائه ، وعندما بدأت أورارتو بالتوسع يصبح الإله خالدي و اله الحرب هو الإله الوطني لمملكة أورارتو القديمة، التي حكمت الهضبة المحيطة ببحيرة فان، شرق تركيا حاليًا، من حوالي ٩٠٠ إلى حوالي ٦٠٠ قبل الميلاد. تم تصوير خالدي كأرجل، بأجنحة أو بدونها، يقف على أسد, وفي غياب النصوص الدينية، لا تُعرف صفاته الأخرى.

summary

Kingdom of Urartu, researchers consider that the Urartians are the ancient and original inhabitants of the Kurdistan Region of Iraq and the Zagros regions. At its greatest extent, the Kingdom of Urartu included areas from Syria in the west to the Black Sea in the north, and extended to Iran and Armenia in the east.The kings of Urartu were

able to make it an important kingdom in that era. It played an influential role in the civilizations of the ancient Near East. It had its own culture and religious beliefs that were very similar to the religious beliefs that prevailed in the various regions of the ancient Near East in Mesopotamia and ancient Syria.

In each of these civilizations, there was a religious complex that included many gods that were worshiped, and who often represented the forces of nature that had a direct impact on human life, such as the god of rain and thunder, the god of the sun and the moon, and others. Such a religious complex was found in the Kingdom of Urartu, and multiple gods were worshiped in it.The supreme god varied from one period to another. When the importance of the military power of the state began to increase, we found that the god of war rose to the highest rank in the list of gods until he stood by the king in his wars and granted him victory over his enemies.

As Urartu began to expand, the immortal sun god and war god became the national god of the ancient kingdom of Urartu, which ruled the plateau around Lake Van, in present-day eastern Turkey, from about 900 to about 600 BC. Haldi is depicted as a man, with or without wings, standing on a lion; In the absence of religious texts, his other qualities are not known.

مقدمة :

نشأت المملكة الأورارتية في القرن التاسع ق.م لتصبح قوة هامة قادرة على مواجهة عدوها الأول الدولة الآشورية الحديثة. وبعد أن ركز ملوك أورارتو سلطتهم حول حوض بحيرة فان، بدءوا بتوسيع سيطرتهم واتخذوا من إله الحرب خالدي معينا لهم حسب المعتقدات الدينية لسكان أورارتوآنذاك ، في القرن الثامن ق.م أصبحت المملكة الاورارتية تمتد بين الأناضول وضفاف بحيرة أرومية.

كما كان التنظيم السياسي للمملكة يقوم في البداية على تحالف بين عدة قبائل اتحدت حول أسرة حاكمة من بينها وكان الجيش نواة هذا التنظيم كان الملك يترأس الحروب التي اتبعت سياسة عسكرية توسعية جعلت حدود المملكة تتسع إضافة إلى المنافع الاقتصادية الكبيرة التي حصلت عليها وساهمت في حركة العمران والنشاط الاجتماعي والديني ، فبنيت القصور والمعابد وجددت المعابد القديمة ، وعندما وصل الإله خالدي إلى

منصب الإله الأعلى للمملكة الأورارتية قامت حركة عمرانية نشطة لتجديد معابد وبناء معابد جديدة ولا شك ساهمت حالة الرخاء الاقتصادي للمملكة الأورارتية في هذا الاهتمام بمعابد الإله خالدي.

الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث إلى الاطلاع على العقائد الدينية للمملكة الأورارتية، خصوصا أن المعلومات المتوفرة عن الموضوع قليلة ومشتته بشكل عام ، لذلك سنحاول جمع المعلومات المتعلقة بالموضوع ووضعها في إطارها الصحيح حتى نحصل على معلومات ذات قيمة عن العقائد الدينية لواحدة من الممالك التي نشأت وأثرت في تاريخ حضارات الشرق الأدنى القديم.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى قلة الأبحاث بشكل عام التي تناولت موضوع أهمية الإله خالدي في حضارة مملكة أورارتو .ولتسليط الضوء على تلك الحضارة التي شغلت حيزا مهما من تاريخ منطقة غربي آسيا القديمة.

لمحة تاريخية وجغرافية عن مملكة أورارتو :

مملكة أورارتو الاسم الذي استخدمه الآشوريون على بلاد نائيري. ففي كتابات ملك آشورشلمنصر الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥)، تم استخدام مصطلح "أورارتي" للدلالة على الأراضي الواقعة في الأناضول الشرقي والتي تجمع بين المرتفعات والقمم الجبلية وبعض السهول وعدد كبير من البحيرات . هذه المناطق كانت تسمى "نائيري" في الكتابات المسمارية التي ترقى إلى الألف الثاني ق. م[١].

تأتي كلمة "أورارتو"من كلمة "أوراشتو "، وهي كلمة آشورية تعني المملكة، وتعني "المكان المرتفع"، وربما تشير إلى المنطقة الجبلية أو بناء التحصينات على نتوءات صخرية.و بالنسبة للبابليين كانوا يطلقون عليها اسم "أوراتري"، و أطلق الأورارتيون على أنفسهم اسم " بياينا" ودولتهم "بياينيلي.[٢]

ومملكة أورارتو أو مملكة فان، حضارة ازدهرت وتطورت في العصر البرونزي[٣] والحديدي[٤] في أرمينيا القديمة وشرق تركيا وشمال غرب إيران منذ القرن التاسع قبل

الميلاد.وسعت مملكة اورارتو سيطرتها على الأراضي من خلال القوة العسكرية وبناء الحصون، لم تصمد المملكة إلا لقرنين من الزمان، ثم اختفت بشكل غامض في القرن السادس قبل الميلاد، ولم يُعاد اكتشافها كثقافة قديمة متميزة ويمكن التعرف عليها إلا من خلال الحفريات التي أجريت في القرن التاسع عشر الميلادي.

يظل تاريخ أورارتو مجزأً بسبب عدم وجود مصادر مكتوبة موسعة والاعتماد على مصادر من نقوش الدول المعادية لأورارتو والمعاصرة لها مثل آشور(٥). ومع ذلك، فإن النقوش والهندسة المعمارية والمصنوعات اليدوية الباقية، جنبًا إلى جنب مع التنقيبات الأثرية المستمرة، ساعدت في إعادة تشكيل تاريخ منطقة اورارتو بشكل مقبول إلى حد ما، يمكننا معها القول بأهمية الحضارة والثقافة الاورارتية كواحدة من أكثر الثقافات القديمة تأثيرًا في المنطقة(٦).

وأول ذكر لمملكةأورارتو جاء في النصوص العائدة لعهد الدولة الآشورية وبالتحديد إلى فترة حكم الملك شلمنصر الأول (١٢٧٣– ١٢٤٤ ق.م.)، حيث ورد في حوليات هذا الملك أنه حارب ثمانية مدن في مملكة أورارتو ، وهذا يدل أن أورارتو لم تكن مملكة موحدة آنذاك ، بل عبارة عن مجموعة من دويلات المدن الصغيرة على النمط الذي كان سائدا قبل ذلك التاريخ في بلاد عيلام القديمة(٧).

وفي منتصف القرن التاسع ق.م، أشارت النصوص الآشورية إلى وجود مملكة أورارتية موحدة، على رأسها ملك يطلق عليه اسم أرامي(Arame) وعاصمة مملكته أرزاسكون(Arzascun.) وكان الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩– ٨٢٤ ق.م.) أول من توجه لحرب هذه المملكة الموحدة في أثناء حملة قام بها عام ٨٥٦ ق.م، ونجح في احتلال عاصمتها وتدميرها. ويبدو أن انتصار شلمنصّر الثالث هذا لم يكن حاسماً. بدليل أن حملته الثانية ضد أورارتو عام ٨٣٢ ق.م قد اخفقت(٨) .

وقد استغل الأورارتيون الضعف الذي حل بالآشوريين نتيجة الحرب الأهلية في آشور في أواخر حكم شلمنصر الثالث(٩)، ليعيدوا بناء مادمرته الحروب مع الآشوريين، وأخذوا في التوسع خارج حدود مملكتهم. و بدأت المرحلة الجديدة من تاريخ أورارتو بالظهور في عهد

الملك ساردوري الأول (Sarduri I) الذي اتخذ من مدينة توشباTushpa في موقع مدينة ڤان (وان) Van التركية اليوم عاصمة له[١٠].

ومن خلال ما ذكرته المصادر الآشورية أن المملكة برزت لأول مرة من حوالي ٨٣٠ قبل الميلاد في عهد الملك ساردوري الأول (حكم ٨٣٥–٨٢٥ قبل الميلاد) الذي حكم أحفاده لمدة قرنين من الزمان. في عام ٧٧٦ قبل الميلاد، أسس أرجيشتي الأول (حكم ٧٨٥–٧٦٠ قبل الميلاد) مدينة جديدة، أرجيشتيهينيلي(rajishatihinili,) ، على سهل أرارات، لتصبح فيما بعد المدينة الثانية للمملكة وأعيدت تسميتها بأرمفير(armafir) . بعد ذلك، حوالي عام ٦٨٥ قبل الميلاد، أسس الملك روسا الثاني (حكم ٦٨٥–٦٤٥ قبل الميلاد) مدينة تيشيبيني (tishibini)الشمالية المهمة (يريفان الحديثة)، أيضًا على سهل أرارات. كانت مراكز أورارتو المهمة الأخرى هي بسطام وكارمير بلور وأديلسيفازوأيانس[١١].

المبحث الثاني: المعتقدات الدينية في المملكة الاورارتية ومكانة الإله خالدي:

لم تكن العقاد الدينية لسكان أورارتو تختلف عن ماكان سائدا بوجه عام في الشرق الأدنى القديم (سوريا_ بلاد الرافدين) حيث كان المجمع الديني الخاص بهم يحوي على مزيج من الآلهة مثل إله العواصف والرعد تيشيبا (Techeba) و الإله شيفيني (Cheveni) اله السماء ، والإله خالدي الذي ارتقى إلى مرتبة الإله الأعلى في الحضارة الاورارتية ، وقد قام الملك إيشبويني في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد بترقية هالدي (خالدي) إلى مرتبة الإله الاعلى وزعيم الآلهة، و الإله خالدي بالاصل كان اله محلي المدينة مصاصر[١٢] ، على الرغم من أن دوره ووظيفته غامضان إلى جانب ارتباطه بالحرب. غالبًا ما يتم تصوير خالدي على أنه رجل يقف على ثور أو أسد، رمزًا للقوة[١٣] .

كانت مدينة مصاصبر أحد أهم المراكز الحضارية التي تنتشر فيها عبادة الإله خالدي وقد أعطى الملوك الأورارتيين أهمية كبيرة لعبادة هذا الإله، وقد تخطت عبادة هذا الإله كل الآلهة الأخرى من حيث عدد المعابد المكرسة له أو من حيث عدد القرابين والتقدمات المخصصة لكل الإله[١٤].

في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد كان الإله خالدي قد احتل مكانة عظيمة لدى سكان اورارتو ، حتى أن عبادته انتشرت خارج المملكة الاورارتية ،حتى أنهم في كتاباتهم ذكروا أنهم زاروا المعبد وعبدوا الإله الخالدي وقدموا القرابين للإله في المعبد(١٥).

وكان ملوك أورارتو في كتاباتهم ينسبون انتصاراتهم العسكرية إليه ويقولون إنها كانت مدعومة من الإله الخالدي الذي كان بحمي الملك والجيش و ظهر في النقوش كإله محارب يحمل أسلحة لقيادة الجيش وبهذا نجد أن مكانة الإله خالدي كانت تعادل مكانة الإله آشور في الدولة الآشورية ، ومعبد الإله خالدي كانت مكانته تعادل مكانة معبد الإله آشور ، لذلك كان الآشوريين حريصين على تدميره عندما هاجموا أورارتو.والذي تم تدميره بمبادرات إلهية للأمة(١٦).

قام الملك ساردور الأول الذي كان (كما ذكرنا سابقا) من أشهر ملوك أورارتو ببناء عاصمة جديدة تسمى توشيا، وهي تقع في الأجزاء الجنوبية الشرقية من بحيرة فان في منطقة جبلية صعبة لتجنب هجمات الأعداء . تم اكتشاف بقايا مدينة نستاي الواقعة في قرية مجلسار في منطقة سيدكان بودوست، كما تم اكتشاف أعمدة معبد الإله الخالدي هناك، والذي كان أقدم مقر للإله الخالدي في المنطقة(١٧) .

فضلا عن ذلك هناك بعض الروايات التاريخية التي تذكر أن عبادة الإله خالدي أدخلت إلى المملكة الاورارتية في عهد الملك يشبويني(Išpuini) وأن هذا كان من أهم الأعمال السياسية لهذا الملك ، ويسوق أصحاب هذا الرأي دليلا على ذلك أن أقدم النقوش الأورارتية والتي تعود إلى عهد الملك ساردور والتي عثر عليه في قلعة ساردور[١٨]لاتذكر الإله خالدي، كما يرد في النقوش ذكر مايسمى مدينة خالدي(١٨) (ḫal –de–i pa–a–ta–re)، موثقة في نقوش الملك منوا Menua بالقرب من غوزاكGüzak على بحيرة وان(١٩)

جاء في أحد النقوش كان نيشبوني أول ملك أورارتي يرفع الإله خالدي فوق الآلهة ، ويوجد نص يعود تاريخه إلى أواخر القرن التاسع القرن قبل الميلاد، يتحدث النص عن آلهة مملكة أورارتو ومما جاء فيها :

((عن سلالة آلهة مملكة أورارتو هي أسماء تسعة وسبعين إلهًا للأورارتو.)) ومنهم الإله خالدي فوق كل الألهة ثم جاء الإله تيشيباتيشوب وهو إله العاصفة والبرق، وتلاه الإله

شيفيني الذي كان إله الشمس . وهناك أسماء عدة آلهة أخرى ينتمي كل منها إلى مدينة أو مملكة خاضعة لحكم مملكة أوراتوونيرواي، وفي نفس النقش يذكر أنواع الحيوانات التي تقدم قرابين للآلهة، وكذلك ووقت التضحية التي تعطى للإله الخالدي بسبب مكانته في مملكة أوراتوحيث قدم(١٧ حيوانا و ٦ ماعز و ٣٤ بقرة ، ويرد : أنا عظمة الشباب وقوة الأسلحة والبوابات وقوى الخالدي تستحق العبادة كما لم يفعل أي إله آخر في معبد أورارتي)حيث قدم عدد كبير من الحيوانات له كذبائح مع مراعاة مكانة الإله و كان يتم التضحية حسب مكانة الآلهة، فمثلاً يحتاج الإله تيشبا للتضحية بـ ٦ بقرات و٨ خروف و الإله شيفيني يحتاج إلى بقرتين و٤ خروف [٢٠].

وفقًا للنقش ، لا يوجد إله آخر في مملكة أورارتو يمكنه منافسة منصب الإله خالدي، الذي أصبح الإله الملكي في عبادات الأورارتيين، وإن المكانة والأهمية المعطاة لهذا الإله تظهر أنه كان أكثر من مجرد إله أعلى، ولكن بصفته حامي المملكة ورمز المملكة وهوية أورارتو أصبح الإله الخالدي ومعبده يعادل الإله القومي[٢١] لمملكة آشور[٢٢] .

مكانة الإله خالدي:-

الالهة الخالدي أحد أهم آلهة مملكة أورارتو الذي أصبح الإله الأعلى في المملكة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، تم تصويره كرجل يرتدي التاج. وفي بعض اللوحات، يقف على ظهر أسد بطريقة مجنحة لأنه كان إله الحرب، فعندما كان ملوك أورارتو يذهبون إلى الحروب ، يأتوا إلى المعبد و يصلوا من أجل أن تكون حياتهم محمية ومنتصرة لأن المهمة الرئيسية للآلهة كانت النصر العسكري في الحروب وهذه كانت مهمة الإله خالدي[٢٣] .

و بسبب مكانة الإله الخالدي القوية قاموا ببناء وتجديد المعابد وكرسوها لخدمة الآلهة وخاصة الإله خالدي ، بالإضافة إلى ذلك، كان ملوك أورارتو يقدمون دائمًا القرابين للإله الخالدي خلال قيامهم بالأعمال الحربية وحتى الاقتصادية والعمرانية ويحتفلون بها ، ورد في نقش يدعى نقش مهيري دوردا: "((زرع إشبوني بن ساردوريومينواي بن إشبوني بستانًا جديدًا لم يتم القيام به من قبل، ويجب التضحية بثلاثة أغنام للإله خالدي ويجب التضحية بثلاثة أغنام لجميع الآخرين")). وفيما يتعلق بنشاط التعمير، نص آخر يعود إلى الملك منوة

بن نيشبويني يذكر إنشاء القناة، والذي يذكر بفضل الإله خالدي منوة بن شبويني أنشأ القناة"[٢٤].

مركز عبادة الإله خالدي:

المصاصير أو قرية كانت أقدم مركز لعبادة الإله الخالدي عند الأورارتيين في الألف الأول قبل الميلاد. وتقع هذه المدينة على بعد حوالي ١٨ كم شمال وغرب منطقة راوندوز[٢٥]الجزء الشمالي الشرقي من البلاد الجنوبية، و تمتد إلى راوندز في الجنوب، و تقع هذه المدينة خارج إقليم أورارتو ومملكة مستقلة مثل كل من الممالك المحيطة بها آنذاك. وجاءفينقش حجري في يازياي طاش Yazılıtaşوالذييسبللملكمنوايردذكر الإله خالديتشيرالنقوشإلى عظمة الإله خالدي، وأن الملك منوا أصبح ملكا قويا ملكا عظيما ملكا على بلاد بيانيلي مدينة توشبا العظيمة يقول من يدمر من يكسرها لا ينبغي أن يضحك في الليل أو يبشر ، وان القوة التي يتقرب منها سيدمرها الإله خالدي وتشيبا وشيفيني وجميع الآلهة[٢٦].

وفي جميع أنحاء مملكة أورارتو ، حافظ الإله خالدي على مكانته الرفيعة وكان هؤلاء يظهرون امتنانهم من خلال التضحية المستمرة للآلهة، وخاصة الإله خالدي .

معبد الإله خالدي:

كان يقع في مدينة مصاصير (مجيسر الحالية)كان بمثابة معبد لعبادة الشمس ومحج لملوك شعب اورارتو تعرض للنهب أيام الملك الاشوري سرجون الثاني في حملته على بلاد مصاصير في ٧١٤ قبل الميلاد وقد تم اكتشاف قطع اثرية من المعبد في خورسباد[٢٧]، عام ١٨٥٠ وحاولوا نقله عبر دجلة إلى أحد المتاحف في لندن إلا أن القافلة تعرضت للسلب من قبل البدو وغرقت القطع في دجلة وبقيت مدفونة في قعر النهر ولم يتم اكتشافها إلى اليوم[٢٨].

وتعود شهرة (ناردیني) إلى قدسية ومكانة الإله الخالدي. وقد حظيت عبادة هذا الإله بأهمية كبيرة عند ملوك أورارتو في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد لدرجة أن ملوك أورارتو يفتخروا بزيارة المصاصير حيث معبد الإله خالدي و تم بناء المعبد الواقع في وسط المصاصير على شكل مستطيل بقاعدة على شكل خيمة ولم تتمكن من إثبات هذه الحقيقة

باستثناء معبد الإله الخالدي في المصير لم يتم تصوير أي معبد آخر لأورارتو ، عثر في أنقاض المعبد على (١٧) عمود من طراز أورارتي ، و يعود تاريخها إلى حوالي العام (٨٠٩ ق.م) ، حيث لم يتم العثور على مثل هذه الأعمدة في موقع معابد أورارتية أخرى([٢٩])،

و عثر على مسلة حجرية على بعد ٢٠٠ متر من حدود إقليم كردستان العراق، غرب الحدود بين العراق وإيران ، وهي من الحجر البازلتي المستطيل (شكل ٤) الجزء العلوي مقوس وعلى قاعدة مستطيلة ارتفاعها حوالي ٢ متر وعرضها ٦٠ سم وسمكها ٣٠ سم ، في عام ١٨٢٩ وزار عالم الآثار الألماني شولتز المنطقة ونسخ كتاباته. إلا أنه قتل على يد السكان المحليين و تم تدمير جميع الوثائق والنسخ الخاصة بنص المسلة[٣٠] .

بعد ذلك عمل رولنسون على نشر نصوص المسلة على الرغم من أنها أصيبت بعدة أضرار لأسباب طبيعية وأخرى من صنع الإنسان بعد حوالي (٢٨٠٠) سنة من بقائها في مكانها خلال حرب الثماني سنوات بين العراق وإيران في منتصف الثمانينات وتم نقلها إلى المتحف الروسي حيث هي محفوظة الآن[٣١].

وجاء فيها: ((كانيانينيشبويني بن سردوري، ملك مدينة توشبا الكبرى، ومنوا بن تشبويني إلى الخالدي في مدينة ناردیني، فوضع ابن سردوري نقشًا أمام المعبد. أحضر أسلحة جميلة، أحضر أواني نحاسية وأواني نحاسية مهربة، قدم عدة أدوات جديدة للخالدي كأضاحي: ١١١٢ رأسًا جديدًا، ٩٠٢٠ ماعزًا (٤) و١٣٤٨٠ ماعزًا كبيرًا (٢) شجاعة مدينة توسيا هاني. أمام الخالدي بني هذا المعبد في مدينة ناردیني بمباركة الخالدي وتم وضعه أمام أبواب الخالدي في مدينة ناردیني عندما جاء إشبوني بن ساردوري (و) منوا بن نيشبوني قبل الإله خالدي في مدينة ناردیني. ناردیني قدموا القرابين الإله خالدي كل من ساعد غيره على أخذ الضحايا أو إخفاء الضحايا في مكان آخر بعيدا عن مرأى من أي شخص يسمع أن هناك من ضحية أخذ بئره أمام بوابة الخالدي أو من أعطاها له مسح الإله نسله من الأرض ومن جعل ذرية إنسان يفعل ذلك أو لا يرجع فهو هلك[٣٢])).

يعتبر هذا أهم مصدر أثري لمملكة أورارتو و يظهر البعد الديني لمملكة أورارتو وهو أن الإله خالدي هو الإله القومي لمملكة أورارتو ورئيس الآلهة عبر التاريخ.

في هذا النقش أيضا ذكر الملك نيشبويني وابنه مينوا أنهم بنوا معبداً للإله خالدي في ناردیني ولم يكن المعبد موجوداً من قبل ولا المعبد نفسه تم تجديده وتوسيعه ولكن في نهاية الألف الأول قبل الميلاد ، دمرها الملك شلمنصر الأول (١٣٧٤-١٢٤٥ ق.م) و تصف مدينة المصاصير بأنها مدينة مقدسة، بمعنى أن المدينة كانت تعرف بالمدينة المقدسة حتى في الألف الثانية قبل الميلاد، ويشير نص مكتوب عن الإله الخالدي إلى أن الخالدي أصبح الإله القومي للأورارتيين وكانت زوجته الإلهة أرباني[٣٣].

و في نقش "باب المهري"، يظهر بوضوح تفوق الإله الخالدي على باقي الإله ، بما في ذلك الآلهة المحلية للبلاد . وفي عهد إيشبويني أيضًا، بدأت عملية نشر عبادة الإله الخالدي، حيث وصلت عبادته إلى الأراضي التي تم فتحها حديثًا، بما في ذلك توشبا، والتي ربما فُرضت على السكان المحليين[٣٤] .

و من خلال تتبع المراحل الرئيسية لتطور العمارة عبر تاريخ أورارتو حتى القرن السادس قبل الميلاد. نجد إن السمات المميزة لهيكل المعابد، كانت في أبعاد المعبد وأنواع الأعمدة وإنشاءات السقف،كما يذكر أن المعابد الأورارتية ومن ضمنها معبد الإله خالدي كانت في الوقت نفسه مراكز مهمة لتصنيع المعادن ،وقد أدى معبد الإله خالدي دورا أساسيا في هذا كونه المعبد الرئيسي في أورارتو ،حيث وجدت فيه عنابر ضخمة لصب المعادن، وورش لتصنيع الادوات النحاسية والبرونزية ،ومعادن اخرى[٣٥]،

عثر أيضا في قرية توبزاوا التي تبعد حوالي ٧ كم عن ناحية سيدكان [٣٦]على مسلة حجرية وهي محفوظة في متحف أربيل على أساس حجري مثبت في نقش نوع الحجر المصنوعة منه .- ارتفاع (١٣٣) طول القاعدة ١٦ سم والعرض ٩٢ سم والسمك ٣٣ سم، قام عدد قليل من الناس بدراسة المسلة في عام ١٨٤١، وبعد ذلك قام عالم الآثار الفرنسي(دي مورغان) بالاطلاع على المسلة في عام ١٨٩٤ ودرسها مرة أخرى.وخرج بالنتائج التالية:

ويعود تاريخ المسلة إلى عهد الملك روسا الأول (٧٣٤-٧١٤ ق.م)، أي قبل حملة سرجون الثاني الثامنة على مملكة أوراتو بوقت قصير جدا ، وتوجد على جانبي الميل

نصوص مسمارية مكتوبة على جانب واحد باللغة الجنوبية بـ ٣٧ ديراً والوجه الآخر مكتوب باللغة الأورارتية في ٣٨ ديراً مما سهل معرفة النص وفهمه(٣٧).

يوضح النقش الموجود أهمية ومكانة الإله الخالدي الذي استطاع أن يعيد الأيام السعيدة إلى مصاصير ، طلب تورزانا ملك مصاصير من روساي ابن الملك أورارتو ملك ساردور أن يتحالف معه لحماية حياته وإنقاذه من حكم الآشوريين، فاستمع إلى كلام الإله الخالدي وجاء لنجدة روسا، قبل روسا معاهدة تورزانا وعينه ملكاً على مصاصير وذهبوا إلى معبد الآلهة ووقف تورزانا أمامه وأقسم الولاء لملك أورارتو روسا وقدم القرابين وسكب الماء على معبد الإله خالدي. خلق الإله خالدي في مصاصير، صلى نورزانا مع جيشه أمام المعبد، وبعد حلول الظلام، أخضع أورزانا جميع قواته لسلطة الملك روسا (٣٨) .ينتهي النص الموجود في هذه الصفحة على النحو التالي

((أنا روسا عبد الإله خالدي الراعي الحقيقي للشعب بعون الإله خالدي لم أخاف من الحرب الإله خالدي أعطاني القوة والسعادة أعطاني أياماً سعيدة نشر السعادة في قلبي،))

وخلال حكم «روسا» الثاني (٦٨٠- ٦٥٤ ق.م) عاشت أورارتو حقبة جديدة من الازدهار كانت الأخيرة في تاريخها. ساد فيها السلام مع الدولة الآشورية. وتركز اهتمام روسا الثاني في هذه المرحلة على مناطق ماوراءالقوقاز بسبب وصول مجموعات القبلية البدوية الجديدة من القبائل «السكيثية»(٣٩) (Scyths). وفي عهد الملك ساردوري الثالث بلغت أورارتو درجة من الضعف دفعته إلى الاعتراف بالسيادة الآشورية على بلاده، ويدعو نفسه في رسالة وجهها إلى (اشور- باني- ابلي) بـ (ابن ملك آشور). بعد سقوط الدولة الآشورية نحو عام ٦١٠ ق.م خضعت أورارتوللميديين الذين أبقوا عليها دولة تابعة لهم حتى الأعوام ٥٩٣-٥٩١ق.م حيث قضوا على استقلالها نهائياً. ومنذ نهاية القرن السادس ق.م، بدأت القبائل الأرمنية بالدخول إلى بلاد أورارتو، قادمة من الأناضول لتعطي المنطقة اسم أرمينيا(٤٠).

نهاية أورارتو:

هاجم جيش الآشوري المدينة واستولى على الكثير من معبد الإله الخالدي وقصر الملك،أما حاكم المدينة تورزانا، هرب للنجاة بحياته، وأسر الآشوريون عدداً كبيراً من السكان

ومن بينهم عائلة تورزانا، بعد أن خضعت المدينة وعين ملك آشور حاكما اشوريا للإشراف على المدينة وأصبحت مدينة مصاصير جزءاً من المملكة الآشورية

((بعد مهاجمة أورارتو ونهب المدينة، كتب سرجون الثاني: "المصاصير لقد دمرت واحتلت مقر الإله الخالدي، حيث لديه ٦١٧٠ ابنًا وبنتًا وأسرت ٦٩٠ شخصا و٩٢٠ عنزًا و١٠٠٣٢٥ خروفًا وأحضرت لهم ٣٤ وزنة و١٨ مينًا ،لقد أحضرت عددًا كبيرًا من الأحجار الكريمة..... وأبقار برونزية، ..... والعديد من الأشياء الثمينة الأخرى إلى بلاد آشور ، وبعد عام من هذا النهب، في عام ٧١٣ قبل الميلاد، أعيد تمثال الإله خالدي إلى المصاصير نتيجة اتفاق كان الغرض من هذا الاتفاق بين الآشوريين والاورارتيين فقط استعادة تمثال الإله خالدي وكان للإله خالدي مكانة بارزة في مملكة أورارتو، لدرجة أن الإتفاق كان على إعادة تمثال الإله بسبب قدسيته(٤١).))

خاتمة :

من خلال دراسة أهمية عبادة الإله خالدي في حضارة ومملكة اورارتو ، نجد أن ثقافة وأفكار الشعب الأورارتي كانت تتشابه إلى حد كبير مع ثقافة ومعتقدات باقي شعوب المنطقة القديمة في كل من بلاد الرافدين وسوريا القديمة ، وهذا دليل على الانخراط الحضاري والتلاقي الثقافي بين تلك الشعوب ، فلم تمنع الصراعات التي كانت تنشأ بين الحين والآخر من تبادل الأفكار والثقافات بين مختلف الشعوب والأعراق التي كونت ممالك وحضارات الشرق الأدنى القديم.

و كانت عبادة الإله خالدي تشبه إلى حد كبير مع عبادة الإله التي وجدت آنذاك في ممالك بلاد الرافدين وسوريا مثل الإله آ شور الإله الأعلى للمملكة الآشورية و إله الحرب فيها . في النهاية نتمنى أن تمدنا المصادر الأثرية في المستقبل بمعلومات أكثر عن هذه المملكة وحضارتها التي كانت واحدة من حضارات الشرق الأدنى القديم أثرت وتأثرت بمختلف الحضارات التي كانت سائدة ومنها بالدرجة الأولى الحضارة الآشورية التي عاصرتها

صورة تمثل الإله خالدي متطيا ظهر أسد، نقش نافر محفوظة الآن في متحف تريبوني في باريكان
ينظر: صلاح رشيد الصالحي، مملكةأورارتو ،العلاقات الآشورية الأورارتية ،مصدر سابق، ص7

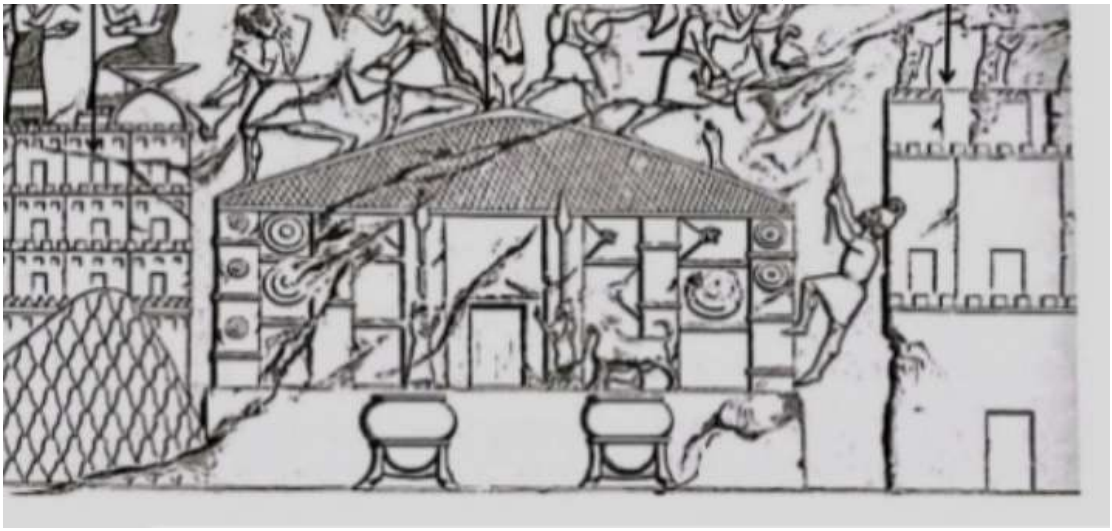

صورة مثل مشهد لنهب واحتلال مدينة المصاصير ومعبد الإله خالدي من قبل الآشوريين حيث توجد قلعة من طابقين وعلى سطح القلعة عدة أشخاص يرفعون أيديهم إلى السماء ولا يصلون هربًا من هجوم الغزاة الآشوريين ، لكن وجوههم غير مرئية، لكن لا بد أنهم نساء أورارتو. وهناك تل صغير على يسار المعبد، وخلفه بيوت المدينة مبنية على ارتفاع الجبال

TheEasternprovincesofUrartuandthebeginningofHistoryin “,(Salvini, M.,(2009
IranianAzerbaijanAltanÇilingiroğlunaArmağan, Istanbul pp.497

(صورة لمسلة في متحف أربيل المدني)

ويعود تاريخه إلى عهد الملك روسا الأول (٧٣٤-٧١٤ قبل الميلاد)، أي قبل عام من حملة سرجون الثاني الثامنة على مملكة أورارتو. وتوجد على جانبي الميل نصوص مسمارية مكتوبة على جانب واحد والوجه الآخر مكتوب باللغة الأورارتية

الهوامش:

([1]) Grayson, A.K. 1991: Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC ‘I: 1114–859 , S.Royal Inscriptions of Mesopotamia, 1990,p163

([2]) Marriott, J. and Radner, K. 2015: ‘Sustaining the Assyrian army among friends and enemies in 714 BCE’. Journal of Cuneiform Studies 67, 127–43, 2013,p321

([3])مراحل هذا العصرتؤرخ كالتالي :المرحلة الأولى من٣٤٠٠-٢٩٠٠ق.م،المرحلة الثانية من٢٦٥٠-٢٩٠٠ق.م،المرحلة الثالثة من٢٣٥٠-٢٦٥٠ق.م،والمرحلة الرابعة من2000_2350ق.م.للمزيد ينظر:

Joffe, A., H., “Settlement and Society in the Early Bronze Age I and II, SouthernLevant”. Complementary and Contradiction in a Small-Scale Complex Society,1993, p98

([4])العصر الحديدي: بدأت فيما بين ١٥٠٠ و ١٠٠٠ق.م. حيث انتشر استخدام الحديد في صناعة الأدوات والأسلحة، وبدأ التشكيل الحقيقي للحديد في آسيا الصغرى وانتشر في أجزاء كثيرة من آسيا وإفريقيا وأوروبا. وكان الحديد يتميز في رخصه؛ وانتشار خاماته على نطاق واسع . وفي ذلك العصر ، تخلى الصناع عن أدوات العصر البرونزي المتواضعة وغير المصقولة، بعد أن أصبح استخدام الحديد شائعا بقوة. للمزيد ينظر: علا المهدي التونسي، المسلات والتماثيل في منطقة شمالي سورية وجنوب شرقي الأناضول (عصر الحديد الأول والثاني: ١٢٠٠-٧٠٠ ق.م) مجلة دراسات تاريخية ،العدد 140، دمشق، 2020،ص44

([5])الآشوريون هم من شعوب وادي الرافدين ،سكنوا المنطقة الشمالية من حوض نهر دجلة،بعد الهجرة من منطقة بابل خلال العهد الأكدي .اختلط الأشوريون مع الشعوب الجبلية مثل الحيثيين والحوريين،كان الظهور السياسي بالنسبة للآشوريين، قد وضح في الخضوع لسيطرة أسرة أور الثالثة، والتي ما إن بدأ سلطانها بالزوال، حتى تطلع الملك «بوزورآشور الأول» لإعلان الاستقلال والعمل على تأسيس الحكم الآشوري خلال العام ٢٠١٢ ق.م. للمزيد

ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة ،عامر سليمان ،المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1999،ص25

([6])رشيد الصالحي، مملكة أورارتو العلاقات الآشورية _ الاورارتية من القرن التاسع إلى القرن السادس ق.م. ، بغداد، 2020،ص 70_68

([7]) Badalyan, M.," The Urartian Weather God Teišeba", Armenian Journal of Near Eastern Studies Vol.IX, Armenia, 2015 p.154-.

([8])علي قاسم محمد ، سرجون الآشوري (705 _721ق.م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بغداد ،1983،ص78

([9])شلمنصر الثالث وهو ابن الملك آشور ناصربال الثاني.حكم مدة طويلة بلغت خمسة وثلاثين عاما، دون أعماله خلال مدة حكمه على مسلة كبيرة من الحجر الأسود (الديوريت) وهي موجودة اليوم في المتحف البريطاني ،وقد اتخذ شلمنصر مدينة كلخو (النمرود) عاصمة له وكانت عاصمة لأبيه من قبله رفع مكانة الإله آشور وجعله فوق بقية الآلهة في بابل و آشور، للمزيد ينظر:سليم أحمد أمين: دراسات في حضارات الشرق القديم، حضارة مصر القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996،ص،98 .

([10]) سليمان،توفيق : دراسات في حضارات غرب أسيا،من أقدم العصور إلى عام1190ق.م.دار دمشق ، دمشق، 1985،ص122.

([11]) Suny, Ronald Grigor. Armenian Genocide, Turkish-Armenian History, Encyclopedia Britannica,July20,1998,p105 .

([12]) مصاصر مدينة أثرية قديمة في مملكة أورارتو،ورد ذكرها في النصوص الآشورية التي تعودإلى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد.وقعت تحت سيطرت الملك إشبويني حوالي800 قبلا لميلا .وكان الإلهخالدي يعد حارساالمدينةموقع المدينة غير معروف على وجه اليقين، وهناك عدة فرضيات منها ما قال به العالم فرانسوا ثورو-دانجين ، حيث ذكر أن موقع المدينة يمكن أن يكون على بعد ١٠ كم إلى الغرب من مدينة طوبزاوه في شمال العراق. فيما افترض عالم الآثار رضا حيدري أن المدينة هي اليوم مدينة ربط الواقعة بالقرب من مدينة سردشت ،للمزيد ينظر: بشير يوسف فرنسيس ، موسوعة المدن والمواقع في العراق ، تقديم الاي البير، لندن، 2017،ج2،ص185

([13])بلال زبير ، تاريخ مصاصير ، (برادوست) وأهميتها الأثرية العدد 2، مطلعة هيفي ، 2013،ص160_155

([14]) رشيد،فوزي،الرشائع العراقية القدمية،دار الحرية للطباعة،بغداد،1973،ص،77

([15])Marf, Dlshad A.op,cit,p97

([16]), C. W.,," The Urartian- Assyrian Inscription of Kelishin", Journal of the American Oriental Society(JAOS) 1961, Vol.81,No.4,pp.359.

([17]) Işik, K. and Bülent G," The location of UruṬušpa and a New inscribed column base belonging to

Išpuini, King of Urartu", Armenian Journal of Near Eastern Studies=(AJNES) 2012, Vol. VII/I,PP.7279

([18]) قلعة ساردور وتعرف أيضا باسم قلعة فان، وهي من أقدم القلاع المعروفة في تلك المنطقة ، بنيت في عهد الملك ساردور الأول ، وجدد في عهد الملوك اللاحقين وكانت من أهم القلاع الدفاعية في المملكة الاورارتية ، للمزيد ينظر، مقصود سامع سردوري، جمال ثلاثة آلاف عام، نشر اختر، 1395هـ ش، ص.105

([19]) بحيرة وان: وتقع في منطقة شرق الأناضول وتعد أكبر بحيرة في تركيا ، وتطل على البحيرة عدة مدن، منها مدينة وان ومدينة خلاط، وقد عرفت البحيرة قديما باسم بحيرة أرجيش ،للمزيد ينظر: طلال سعود الدعجاني، موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، 2004،ص،154

([20]) Işik, K. and Bülent G ," op,cit ,pp72_ 79'

([21])الإله القومي الآشوريين وهو يحمل اسم مدينة آشور، وقد أصبح إله الدولة الآشورية الرئيس عندما تعاظم نفوذها واتسعت أركانها وتوسع نفوذها السياسي، وكان آشور إله الحرب عند الآشوريين حلَّ محل مردوك في مجمع الآلهة كسيد وحاكم وزعيم الآلهة وخالق لكل شيء ،كان يُوصف بـ«إنليل الآشوري»، وله في المدائح الإلهية ألقابًا عديدة، منها: الجبل الكبير، وسيد الجبال، وأبو الآلهة، وهذه الألقاب كانت في الأصل تخص إنليل الإله السومري القديم والذي عبد في آكاد وبابل واشور ،للمزيد ينظر، ادزارد ، هـ ،بوب، رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير «في بلاد الرافدين: السومرية والبابلية، في الحضارة السورية: الأوغاريتية والفينيقية»،ترجمة : محمد وليد خياطة ، دار الشرق العربي، دمشق ،2000،ج1،ص68

([22]) Köroğlu, K., "Conflict and Interaction in the Iron Age: The Origins of Urartian – Assyrian Relation",European Journal of Archaeology, Vol.18, pp. 111 _ 127

([23]) Badalyan, M.,op,cit, p125_140

([24]) Benedict, C. W,op,cit,p 385

([25])قضاء راوندوز ،اسم راوندوز يتالف من لفظين. (روان) اسم عشيرة كردية و (دز) التي تعني القلعة في اللغة الكردية القديمة،من أقضية محافظة أربيل في العراق،وتقع رواندوز عند سفح صخري يحيط بها واديان عميقان والمنطقة عموما تحيط بها سلاسل جبال شاهقة،للمزيد انظر: اسماعيل زبير بلال، أربيل في أدوارها التاريخية ،مطبعة النعمان، النجف الأشرف ،1971،ص،88

([26]) MiroslavSalvini: Die Einwirkung des ReichesUrartu auf die politischenVerhältnisse auf demIranischen Plateau in : Ricardo Eichmann/Hermann Parzinger (Hrsg.), Migration und Kulturtransfer , Bonn 2001, p 345

([27]) خورسباد هي منطقة عراقية تقع في محافظة نينوى،وساد اعتقاد أن خورسباد هي أشور حيث بدأت التنقيبات ،و استمرت للأعوام ١٨٥٢-١٨٥٥ وقد فقد عدد كبير من الأثار التي عثر عليها المنقبون الفرنسيون في دور شروكين وقيل إنها غرقت أثناء نقلها عن طريق النهر ،اعيد تنقيب موقع خورسباد في عام ١٩٢٨-١٩٣٥ من قبل علماء الاثار من الولايات المتحدة الأمريكية و من معهد الدراسات الشرقية في شيكاغو. تعرضت القرية للدمار والتخريب بسبب النزاعات المسلحة التي حدثت على أرضها ، للمزيد ينظر:
Arno Poebel, The Assyrian King-List from Khorsabad, Journal of Near Eastern Studies, vol. 1, no. 3,. 1942, pp. 247–306,

([28])Arno Poebel,op,cit,p249

([29]) Işik, K. and Bülent G.,op,cit,p75_79

[٣٠]،محمودالأمين،مسلتا طوبزاوة وكيله شين،مجله سومر،مج8 ،ج2 ،بغداد، ,1952ص.77_53

([31]) Çifçi, A.,op,cit,p120_140

([32]) Salvini, M.," Archaeology and Philology: Reconstructing the History of Northwest Iran in
the Urartian period(9th–7th Centuries B.C.)", Proceeding of the International Symposiumon Iranian
Archaeology: Northwestern Region, Iranian Center for Archaeological Research, Tehran, pp.63

([33]) Salvini, M.,op,cit,p73_79

([34]) Işik, K. and Bülent G.,op,cit,p75_77

([35])مجلة الحوليات الأثرية السورية ، المجلد 43، العدد الصادر في 12حزيران، 2010،ص213،

([36]) سيدكان القديمة كانت تقع قرب قرية مجيسر (مصاصير) التي كانت قديما تضم معبدالعبادة الاله خالدي في الحضارة الاورارتية وهو اله الشمس وذكر اسمها بصورة)مصاصيى في النقوش القديمة الموجودة على لوح حجري يخلد ذكرى انتصار مليك أورارتو اوزانا في حربه ضدالاشوريين في القرن الثامن ق.م .في العصر الحديث جعلت الدولة العراقيةا لموقع الواقع تحت قدمات جبل كوشينه ل يكون مقر ناحية سيدكان.للمزيد ينظر :دليل آثار إقليم كردستان لعام 2017م ،ص100وما بعدها.

([37]) .Salvini, M.," Archaeology and Philology: Reconstructing the History of Northwest Iran in the Urartian period(9th–7th Centuries B.C.)", Proceeding of the International Symposiumon Iranian Archaeology: Northwestern Region, Iranian Center for Archaeological Research, Tehran, 2004, pp.67

([38]) Wright, E .M,(1943), "The Eighth Campaign of Sargon II of Assyria (714 B.C.)", Journal of Near Eastern
Studies=(JNES),Vol.2, No.3, Chicago, pp.173

([39]) السكوثيون، شعب بدوي ينحدر من أصول إيرانية وهم من مملكة سكيثياحلوامحل السيريين الذي كانوا قدجاؤا من سهول روسيا، وقد نزح السكوثيون من سهول أوراسيا إلى جنوبي روسيا في القرن 8 قم.،واستقروا بغرب نهر الفولجا شمال البحر الأسود لم يكن للسكوثيين لغة مكتوبة، فلا يمكن جمع ثقافتهم غير المادية إلا من خلال كتابات من قبل مؤلفين غير سكوثيين ، ومجموعة من الأدلة الأثرية،و ما نعرفه اليوم عن تاريخ القبائل السكوثيين يأتي من الروايات التي دونها المؤرخ اليوناني القديم هيرودوتس، والذي زار بلادهم، كان السكوثيين يحكمون من قبل ملك تنتقل سلطته بعد الوفاة إلى ابنه، و يذكر هيرودوتس أن العائلة الملكية السكوثية قد تزاوجت مع اليونانيين،للمزيد ينظر:

KaziLaypanov / İsmail MiziyevTürkHalklarınınkökeniSelengeyaınları 2008 syf p 77-101

([40]) Wright, E .M, op,cit , p286 .

([41]) Lanfranchi,G. B, and Parpola, S.“The Correspondence of Sargon II, Part II: Letters from the Northern and Northeastern Provinces, State Archives of AssyriaV=(SAA,Vol.5), Helsinki University Press 1990,p177,